صلاح جاهين

شاعر لا يكف عن الغناء

كلما ذكر اسم «صلاح جاهين» شعرت بطيور الشعر تحلق حولى مرفرفة نشوانة فرحانة، مغردة بأروع الكلمات يردد معها: (الكلمة أيد الكلمة رجل الكلمة باب/ الكلمة نجمة كهربية فى الضباب/ الكلمة كوبرى صلب بحر فوق القباب/ الجن يا أصحاب ما يقدر يهدمه/ فاتكلموا) ليدلل لنا على معنى «الكلمة» التى هى مفتتح القصيدة بمعناها الشمولي، وليس القاموسى لتتحول الكلمة أيضاً إلى «يد» قوية تصفع كل جبان ضعيف، «ورجل» تركل كل صفيق دنئ، و«باب» يفتح على مصراعيه ليدخل منه نور الصباح الطليق، معلناً مولد يوم جديد، وتتحول «الكلمة» أيضاً إلى نجمة تضوى فى ليل حالك مضبب، لينقشع هذا الضباب ويذوب، ونعبر منتصرين على الغبن والقهر من فوق ظهر الكوبرى الصلب الذى صنعته أيضاً «الكلمة» فوق بحر هائج غادر، لا يقوى الجن على هدمه، هذه هى قوة الكلمة التى يعرفها صلاح جاهين، لذا أصر وصمم على أن نتكلم، لأنه يكره الصمت ويمقته ويلعنه فى كل كتاب، فهو أشبه

بالخرس، وكما يقول الحديث الشريف (الساكت عن الحق شيطان أخرس)، فجاهين يحن دائما إلى الغناء، فهو كالطير والعصافير الطليقة، لا يكف عن الغناء:

(ملعون فى كل كتاب ياداء السكوت

ملعون فى كل كتاب ياداء الخرس

الصمت قضبان منسجوين عنكبوت

يتشندلوا الخيالة فيه بالفرس

يتشندلوا الخيالة واشحال بقى

عصافير غناوى ملونة رقيقة

حياتها فى الزقزقة

وأنا قلبى طير خير إن ما غناش يموت)

هذا هو «صلاح جاهين» الشعر فى الرجل، لم يدخل إلى قلبى شاعر مثلما دخل إليه «جاهين» ذلك الشاعر الفيلسوف، الذى تحدى نفسه وتحدانا، وأختصر ما يقال فى صفحات كثيرة، فى رباعيات مختزلة ومكثفة ولفرط عبقريته وتفرده فى هذا الشكل المميز، كلما حاول شاعر عامية أن يكتب رباعيات شعرية وقع فى جب صلاح جاهين، وكأنه احتفظ بسر هذا الفن، وسك خلفه الباب وأخفى مفاتحه، مثلما يقع كل من حاول كتابة المسحراتى فى جب فؤاد حداد

obeikandl.com

الـذى احتفـظ بسـر هـذا الفـن أيضـاً ، فالرباعيـات الشـعرية عمل قـد يربـك المقاييـس، وكلمـا قرأتهـا أقـف عندهـا طويـلاً منبهـرا، وكأننـنـى أقرؤهـا لأول مـرة، فأعـاود قراءتهـا مـرة ومـرات:

«فـى يـوم صحيـت شـاعر براحـة وصفـا/ الهـم زال والحـزن راح واختفـى/ خدنـى العجـب وسـألت روحـى سـؤال/ أنـا مـت ولا وصلـت للفلسـفة/ عجبـى».

«ورا كل بـاب ألـف عـين مفتوحـين/ وأنـا وأنـت ماشـين يـا غرامـى الحزيـن/ إذا التصقنـا نمـوت بضربـة حجـر/ وإذا افترقنـا نمـوت متحصريـن/ عجـبي».

«النهـد زى الفهـد نط اندلع/ قلبى انهبش بين الضلوع وانخلع/ ياللـى نهيـت البنـت عن فعلها/ قول للطبيعـة تبطل دلع/ عجبي»

«إرفـع غمـاك ياتـور وبطـل تلـف/ وأكسـر تـروس السـاقية واشـتم وتـف/ قـال: خطـوة كمـان خطـوة كمـان/ يـا وصـل نهايـة السـكة/ يالبـير يجـف/ عجـبي»

وغيرهـا مـن الرباعيـات المدهشـة، والتـى حفظهـا الشـعراء عـن ظهـر قلـب، وغنـى بعضهـا الفنـان المبـدع علـى الحجـار لتكـون إحـدى ألبوماتـه الغنائيـة المهمـة.

فعـبر مشـوار عمنـا «صـلاح جاهـين» الشـعرى غنـى لـكل شـئ: للإنسـان/ للوحـدة العربيـة/ للعصافـير/ للأطفـال/ لـلأرض/ لسـيد درويـش/ للنيـل/ للاشـتراكية/ غنـى للوطـن، فتعلمنـا منـه

الغنـاء، ولكـن مـن منـا يقـدر أن يغنـى مثلمـا غنـى جاهـين وهـو الـذى مـلأ الدنيـا غنـاء فأسـس الأغنيـة والمطربـين معـا، غنـى للثـورة لتكتمـل السـيمفونية بصـوت العندليـب الأسمـر عبـد الحليـم حافـظ، ولأنـه كان عاشـق للوطـن، فـأراد أن يعطينـا درسـاً فـى حـب الوطـن، قـال:

«يا مصر لا، يا مصر أه يا مصر

عيون حبيبتى العصر فى الغيطان

أهواكِ آه، عصرت نفسى عصر

فى همسة المحبة والحنان»

رحـم الله عمنـا الشـاعر الفـذ «صـلاح جاهـين» إنسـاناً وشـاعراً وشـاهداً علـى عصـر بأكملـه!!

★ نشرت فى جريدة الجيل يونية ٢٠٠٤

obeikandl.com